

تفسير ابن كثير

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ^ج أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنَّ لَا يُقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْإِلَهَ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ^ق وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

ثم قال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى

ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) يقول تعالى : فخلف من بعد ذلك الجيل

الذين فيهم الصالح والطالح ، خلف آخر لا خير فيهم ، وقد ورثوا دراسة [هذا] الكتاب

وهو التوراة - وقال مجاهد : هم النصارى - وقد يكون أعم من ذلك ، (يأخذون عرض

هذا الأدنى) أي : يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ، ويسوفون أنفسهم

ويعدونها بالتوبة ، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه ؛ ولهذا قال : (وإن يأتهم عرض

مثله يأخذوه) كما قال سعيد بن جبير : يعملون الذنب ، ثم يستغفرون الله منه ، فإن عرض

ذلك الذنب أخذوه . وقول مجاهد في قوله : (يأخذون عرض هذا الأدنى) قال : لا يشرف

لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالا كان أو حراما ، ويتمنون المغفرة ، ويقولون : (

سيغفر لنا) وإن وجدوا عرضا مثله يأخذوه .وقال قتادة في : (فخلف من بعدهم خلف)
أي : والله لخلف سوء ، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلمهم ، ورثهم الله وعهد إليهم ،
وقال الله في آية أخرى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) [
مريم : 59] ، قال (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) تمنوا على الله أماني
، وغرة يغترون بها ، (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) لا يشغلهم شيء عن شيء ، ولا
ينهاهم شيء عن ذلك ، كلما هف لهم شيء من [أمر] الدنيا أكلوه ، ولا يباليون حلالا
كان أو حراما .وقال السدي [في] قوله : (فخلف من بعدهم خلف) إلى قوله :
ودرسوا ما فيه) قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم ، وإن
خيارهم اجتمعوا ، فأخذ بعضهم على بعض العهود ألا يفعلوا ولا يرتشي ، فجعل الرجل
منهم إذا استقضى ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشي في الحكم ، فيقول : " سيغفر لي " ،
فتطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات ، أو نزع ، وجعل
مكانه رجل ممن كان يطعن عليه ، فيرتشي . يقول : وإن يأت الآخريين عرض الدنيا
يأخذوه .قال الله تعالى : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق

ودرسوا ما فيه) يقول تعالى منكرًا عليهم في صنيعهم هذا ، مع ما أخذ عليهم من الميثاق
ليبين الحق للناس ، ولا يكتمونه كقوله : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه فبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) [آل
عمران : 187] وقال ابن جريج : قال ابن عباس : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا
يقولوا على الله إلا الحق) قال : فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون
يعودون فيها ، ولا يتوبون منها . وقوله تعالى : (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون
(يرغبهم تعالى في جزيل ثوابه ، ويحذرهم من وبيل عقابه ، أي : وثوابي وما عندي خير
لمن اتقى المحارم ، وترك هوى نفسه ، وأقبل على طاعة ربه . (أفلا تعقلون) يقول :
أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه
والتبذير ؟ ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم ، كما هو مكتوب فيه